سُورَةُ الرَّعْدِ

[مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ] مُخْتَلَفٌ فِيهَا

وَهِيَ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مُحَمَّدٍ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، والمراد بالكتاب السورة، أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، من القرآن كله، هو: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا مزيد عليه، لا هذه السورة وحدها، وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلقة[1] المفرغة، لا يدرى أين طرفاها؟ تريد الكملة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، و﴿وَٱلَّذِىٓ﴾: خبره؛ بدليل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، ويجوز أن يكون صفة، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: خبر بعد خبر؛ وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات، ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك، وقيل: هي صفة لعمد، ويعضده قراءة أبيّ: «ترونه»، وقرئ: «عمد»: بضمتين، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يدبر أمر ملكوته وربوبيته، ﴿يُفَصِّلُ﴾: آياته في كتبه المنزلة، ﴿لَعَلَّكُم تُوقِنُونَ﴾: بالجزاء، وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه، وقرأ الحسن: «ندبر»: بالنون، ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدّها، ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت، وقيل: أراد بالزوجين: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يلبسه

---

(١) قوله: «الأنمارية هم كالحلقة» أي في أولادها (ع).

مكانه، فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً، وقرئ: «يغشى»: بالتشديد.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: بقاع مختلفة، مع كونها متجاورة متلاصقة، طيبة إلى سبخة، وكريمة إلى زهيدة[1]، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها، مع انتظامها جميعاً في جنس الأرضية؛ وذلك دليل على قادر مريد، موقع لأفعاله على وجه دون وجه، وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع، مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد، وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح، متفاضلة فيها، وفي بعض المصاحف: «قطعاً متجاورات» على: وجعل، وقرئ: «وجنات»: بالنصب للعطف على زوجين، أو بالجرّ على كل الثمرات، وقرئ: «وزرع ونخيل»: بالجرّ عطفاً على أعناب أو جنات، والصنوان: جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان، وأصلهما واحد، وقرئ بالضم، والكسر: لغة أهل الحجاز، والضم: لغة بني تميم وقيس، ﴿نُسْقَىٰ﴾: بالتاء والياء، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾: بالنون، وبالياء: على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، ﴿فِي ٱلْأُكُلِ﴾: بضم الكاف وسكونها.

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾: يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه؛ لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهنّ، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب، ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾: إلى آخر قولهم: يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم، وأن يكون منصوباً بالقول، وإذا نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾/ ١٧٧أ: وصف بالإصرار؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾؛ ونحوه [من البسيط]:

. . . . . لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ[2]

---

(١) قوله: «زهيدة» في الصحاح: واد زهيد قليل الأخذ للماء، وأرض زهاد: أي لا تسيل إلا عن مطر كثير (ع).

(١) ضلوا وإن سبيل الغي مقصدهم لهم عن الرشد أغلال وأقياد

أو هو من جملة الوعيد.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالنقمة قبل العافية، والإحسان إليهم بالإمهال؛ وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب؛ استهزاء منهم بإنذارهم، ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، والمثلة: العقوبة: بوزن السمرة، والمثلة لما بين[1] العقاب والمعاقب عليه من المماثلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه، والمثال: القصاص، وقرئ: (المثلات): بضمتين لإتباع الفاء العين، «والمَثْلاث»: بفتح الميم وسكون الثاء، كما يقال: السمرة[2]، و«المُثْلات»: بضم الميم وسكون الثاء، تخفيف المثلات بضمتين، والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات[3]، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، ومحله الحال، بمعنى: ظالمين لأنفسهم[4] وفيه أوجه: أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر، أو الكبائر بشرط التوبة، أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال، وروي أنها لما نزلت قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لَوْلا عَفْوُ الله وَتَجاوُزُهُ مَا هَنَأَ أَحَدٌ العَيْشَ، وَلَوْلاَ وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لاَتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ» (٧٩٨).

---

٧٩٨ ـ عزاه الزيلعي لابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن المسيب، وللثعالبي في تفسيره وهو مرسل، وللواحدي في تفسيره الوسيط. ينظر «تخريج الكشاف» (٢/ ١٨٣).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب: لما نزلت: ﴿وإن ربك لذو مغفرة...﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

= سبيل الغي: مجاز عما هم عليه من الأحوال الخبيثة. والغل: ما تشد به اليد إلى العنق والقيد للرجلين «وهما مجاز عن الغفلة واتباع رأي النفس». يقول: سلكوا طريق الهوى وتركوا طريق الهدى.
ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣٥٩، والألوسي ١٣/ ١٠٥، والرازي: ١٩/ ١٠.

(١) قوله: «المثلة لما بين» عبارة النسفي «والمثلة العقوبة لما بين... إلخ» (ع).

(٢) قوله: «كما يقال السمرة» لعله السمرة والسمرات (ع).

(٣) قوله: «كركبة وركبات» في الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات وركبات وركبات. وفي هامشه عن مرتضى: أي بسكون الكاف وضمها وفتحها، والراء مضمومة فيهن (ع).

(٤) قال محمود: «ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم... إلخ» قال أحمد: والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد، فإن ظلمه أعني =

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى، من انقلاب العصا حية، وإحياء الموتى، فقيل لرسول الله ﷺ: إنما أنت رجل أرسلت منذراً ومخوّفاً لهم من سوء العاقبة، وناصحاً كغيرك من الرسل، وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوة بها لا تفاوت بينها، والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً[1] في آيات مخصوصة، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون، فلا يهمنك ذلك؛ إنما أنت منذر، فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم، ولست بقادر عليه، ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء، وهو الله تعالى، ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضاء حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره: أمر مدبر بالعلم النافذ مقدّر بالحكمة الربانية، ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصلحة، لأجابهم إليه، وأما على الوجه الثاني: فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه، هو القادر وحده على هدايتهم، العالم بأي طريق يهديهم، ولا سبيل إلى ذلك لغيره.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً، وأن يكون المعنى: هو الله؛ تفسيراً لهاد على الوجه الأخير، ثم ابتدئ فقيل: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾، «وما» في (ما تحمل)، (وما تغيض)، (وما تزداد) إما: موصولة، وإما: مصدرية، فإن كانت موصولة، فالمعنى: أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو، من ذكورة وأنوثة، وتمام وخداج[2]، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة،

= شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة. والزمخشري يبني على عقيدته التي وضح فسادها، في استحالة الغفران لصاحب الكبائر وإن كان موحداً إلا بالتوبة، فيقيد مطلقاً، ويحجر واسعاً، والله الموفق.

(١) قوله: «ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً» أي سواء، كذا في الصحاح (ع).

(٢) قوله: «خداج» في الصحاح: خدجت الناقة خداجاً: ألقت ولدها قبل تمام الأيام، فهي خادج، وهو خديج، وأخدجت: إذا جاءت به ناقص الخلق، فهو مخدج، وهو مخدج اهـ (ع).

ويعلم ما تغيضه الأرحام: أي تنقصه، يقال: غاض الماء وغضته أنا، ومنه قوله تعالى؛ ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]، وما تزداده: أي: تأخذه زائداً، تقول: أخذت منه حقي، وازددت منه كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد، ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد؛ فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة، ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه، ومنه جسد الولد؛ فإنه كان يكون تاما ومخدجاً، ومنه مدة ولادته؛ فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك، وقيل: إنّ الضحاك ولد لسنتين، وهرم بن حيان بقي في بطن أمّه أربع سنين؛ ولذلك سمي هرماً، ومه الدم؛ فإنه يقل ويكثر، وإن كانت مصدرية، فالمعنى: أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ومن أوقاته وأحواله، ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أنّ الفعلين غير متعدّيين؛ ويعضده قول الحسن: الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر، وعنه: الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام، ﴿بِمِقْدَارٍ﴾: بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه؛ كقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿الْكَبِيرِ﴾: العظيم الشأن الذي كل شيء دونه، ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَسَارِبٌۢ﴾: ذاهب في سربه ـ بالفتح ـ أي: في طريقه ووجهه، يقال: سرب في الأرض سروباً، والمعنى: سواء عنده من استخفى: أي طلب الخفاء في مختبإ بالليل: في ظلمته، ومن يضطرب في الطرقات ظاهراً بالنهار يبصره كل أحد/ أحد/ ١٧٧ب.

فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار[1]، حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب، وإلا فقد تناول واحداً هو

---

(١) قال محمود: «إن قلت كان من حق الكلام أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار... إلخ» قال أحمد: فمقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري أن تكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى، ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر، وتحتمل الآية وجها آخر: وهو أن يكون الموصول محذوفاً وصلته باقية. والمعنى: ومن هو مستخف بالليل ومن =

مستخف وسارب.

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ قوله: (وسارب): عطف على (من هو مستخف)، لا على (مستخف).

والثاني: أنه عطف على (مستخف)؛ إلا أن (من): في معنى الاثنين؛ كقوله [من الطويل]:

. . . . . نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ[1]

كأنه قيل: سواء منكم اثنان: مستخف بالليل، وسارب بالنهار، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾: مردود على (من)؛ كأنه قيل: لمن أسرّ ومن جهر، ومن استخفى ومن سرب، ﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾: جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته، والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف؛ كقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠]، بمعنى: المتعذرون،

= هو سارب بالنهار، وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع، وخصوصاً وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثاً، ومنه قوله تعالى ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ والأصل: ولا ما يفعل بكم، وإلا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه؛ لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع، وإنما صحب في الأول الموصول لا الصلة. ومنه [من الوافر]:

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

أي ومن يمدحه وينصره، والله أعلم

(١) فبت أفد الزاد بيني وبينه ... على ضوء نار مرة ودخان

فقلت له لما تكشر ضاحكاً ... وقائم سيفي من يدي بمكان

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من ياذئب يصطحبان

أأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما ... أخيين كانا أرضعا بلبان؟

للفرزدق، يصف ذئباً أتاه في مفازة فبات يقطع الزاد ويقسمه بينه وبينه، حال كونهما مشرفين على ضوء نار تارة وعلى دخانها أخرى، دلالة على تكرر إيقادها. وتكشر: أبدى أنيابه كالضاحك. وقائم سيفي: أي والحال أن مقبض سيفي بمكان عظيم من يدي، دلالة على الحرص والجراءة. تعال: أي أقبل إلي نتعاهد. ويروى تعش أي كل العشاء، فإن عاهدتني بعد ذلك والتزمت أنك لا تخونني: نكن مثل من يصطحبان يا ذئب. ومعنى «من» مثنى، فعاد عليه الرابط كذلك. والنداء اعتراض بين الصلة والموصول. وأأنت: استفهام توبيخي. وتكرير النداء فيه نوع توبيخ أيضاً. وأخيين: مصغر أخوين. واللبان: لبن المرأة خاصة. شبه الذئب والغدر بتوءمين نشآ معاً من صغرهما ترضعهما أم واحدة، دلالة على كمال التلازم والتآلف. وتسمية الذئب امرأ، مبنية على تنزيله منزلة العاقل المصحح لخطابه. وشبههما بالأخوين من نوع الإنسان، كما دل على ذلك لفظ اللبان؛ لأن التآلف فيه أكمل وأظهر منه في غيره.

ينظر: ديوانه (٦٢٨)، والكتاب ٢/ ٤١٦، وابن الشجري ٢/ ١١٣، والخصائص ٢/ ٤٢٢، والعيني ١/ ٤٦١، والهمع ١/ ٨٧، وابن يعيش ٢/ ١٣٢، و١٣٤، والأشموني ١/ ١٥٧، والمحتسب ١/ ٢١٩، ٢/ ١٤٥، والجمل (٣٤٣)، والدرر ١/ ٦٤ ـ ٦٥، والمغني (٤٠٤)، وارتشاف العزب ١/ ٥٣٩، ورغبة الآمل ٤/ ٥٥، والدر المصون ٢/ ٦٥.

ويجوز «معِقبات»؛ بكسر العين ولم يقرأ به[1]، أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه، كما يقال: قفاه؛ لأنّ بعضهم يعقب بعضاً، أو: لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه، ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: هما صفتان جميعاً[2]، وليس (من أمر الله): بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي: من أجل أنّ الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس، وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله»، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب، بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، وقيل: المعقبات الحرس والجلاوزة[3] حول السلطان، يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله، أي: من قضاياه ونوازله، أو على التهكم به، وقرئ: «له معاقيب»: جمع معقب أو معقبة، والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير[4]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من العافية والنعمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: من الحال الجميلة بكثرة المعاصي، ﴿مِن وَالٍ﴾: ممن يلي أمرهم، ويدفع عنهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما[5]؛ لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا وَهْمٌ فاحشٌ. لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء، لا من كلمة ولا من كلمتين. وقد نَصّ التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر، ولا يدغمان في غيرهما، ولا يدغم غيرهما فيهما. وأما تشبيهه بقوله: «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» فلا يتعين أن يكون أصله المعتذرون، وقد تقدم توجيهه وأنه لا يتعين ذلك فيه. وأما قوله: «ويجوز» مِعقِّبات بكسر العين فهذا لا يجوز، لأنه بناه على أن أصله: معقبات فأدغمت التاء في القاف، وقد بينا أن ذلك وهم فاحش. انتهى. الدر المصون.

(٢) عاد كلامه.، ومعنى قوله ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ هما صفتان جميعاً وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له... إلخ» قال أحمد: وحقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم. ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النقمة تحل عليه؛ لأن الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، ومع ربنا كل شيء علماً.

(٣) قوله: «والجلاوزة» في الصحاح «الجلواز» الشرطي، والجمع الجلاوزة (ع).

(٤) قال السمين الحلبي: ويوضح هذا ما قاله ابن جني فإنه قال: مَعَاقيب تكسير مُعْقِب كـ«مُطعم، ومطاعيم، ومُقدم، ومقاديم» فكأن «مُعْقِباً» جمع على مَعَاقِبَه، ثم جُعلت الياء في «مَعَاقِيب» عوضاً من الهاء المحذوفة في «مَعَاقِبَة». انتهى. الدرالمصون.

(٥) قال محمود: «خوفاً وطمعاً لا يصح أن يكون مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل... إلخ» قال أحمد: أو مفعولاً لهما، على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى، لأنه إذا أراهم فقد رأوا،

المعلل إلا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى إخافة وإطماعاً، ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق، كأنه في نفسه خوف وطمع، أو على: ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين، أي: خائفين وطامعين، ومعنى الخوف والطمع: أنّ وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق، ويطمع في الغيث؛ قال أبو الطيب: [الطويل]

فَتىً كَالسَّحَابِ الْجُونِ تُخْشَىٰ وَتُرْتَجَىٰ ... وَيُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَيُخْشَى الصَّوَاعِقُ[1]

وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر، كالمسافر، ومن له في جرينه التمر والزبيب، ومن له بيت يكف[2]، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه من له فيه نفع، ويحيا به، ﴿ٱلسَّحَابَ﴾: اسم الجنس، والواحدة سحابة، و﴿ٱلثِّقَالَ﴾: جمع ثقيلة؛ لأنك تقول: سحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كرام، وهي الثقال بالماء، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له، أي: يضجون بسبحان الله والحمد لله، وعن النبي ﷺ أنه كان يقول: «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (٧٩٩) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: سبحان من سبحت له، وإذا اشتدّ الرعد، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذٰلِكَ» (٨٠٠)، وعن ابن عباس أنّ اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد ما هو؟ فقال: «مَلَكٌ

---

٧٩٩ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٣٦٠) رقم (٢٠٢٦٠)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد رقم (٧٢٢)، وعزاه الزيلعي للطبراني في كتاب الدعاء موقوفاً على كعب بن مالك، وللثعالبي عن أبي عن النبي ﷺ من غير سند.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الطبري من رواية إسرائيل عن ليث عن رجل عن أبي هريرة رفعه، «أنه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده» ورواه البخاري في الأدب المفرد، موقوفاً على كعب بن مالك. انتهى.

٨٠٠ ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢١٢) رقم (٧٢٨)، والترمذي (٥/ ٥٠٣) كتاب =

= والأصل: وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً، أي: ترقبونه وتتراؤونه، تارة لأجل الخوف وتارة لأجل الطمع، والله أعلم.

(١) يقول: هو فتى شجاع جواد، يخشى شره، ويرجى خيره، فهو كالسحاب الأسود. والجون: الأسود: ويطلق على الأبيض. ورواه ابن جني بالضم ليكون جمعاً، أي السود المظلمات؛ لأن السحاب جمع في المعنى. يرتجي الحياء: أي المطر، منها. ونخشى صواعقها، وهي قطع النار التي تنزل منها.

ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، والعمدة ١/ ٣٨، والبحر ٥/ ٣٦٦، والرازي ٥/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٩/ ٣٦٤، والدر المصون ٤/ ٣٣٤.

(٢) قوله: «ومن له بيت يكف» وكف البيت يكف: قطر يقطر، كذا في الصحاح (ع).

مِنَ المَلائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ[1] مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ» (٨٠١)، وعن الحسن: خلق من خلق الله ليس بملك، ومن بدع المتصوّفة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق: زفرات أفئدتهم، والمطر: بكاؤهم، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله، ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده، وما دلّ على قدرته الباهرة ووجدانيته ثم قال: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الذين كفروا، وكذّبوا رسول الله، وأنكروا آياته، ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾؛ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، ويردّون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد، ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم: ﴿الملائكة بنات الله﴾ فهذا جدالهم بالباطل؛ كقولهم: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، وقيل: الواو للحال، أي: فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم؛ وذلك أنّ أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله ﷺ حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله، فرمى الله عامراً بغدّة كغدّة البعير[2]، وموت في بيت سلولية، وأرسل على أربد صاعقة فقتلته؛:

= الدعوات: باب ما يقول إذا سمع الرعد حديث (٣٤٥٠)، والنّسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٥/ ٤١٧)، وأحمد (٢/ ١٠٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، والدولابي في «الكنى» (٢/ ١١٧)، وأبو يَعلى (٩/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) رقم (٥٥٠٧) من طريق أبي مطر عن سالم عن أبيه به.

وقال التّرمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التّرمذي والنّسائي وأحمد وأبو يَعلى والحاكم من رواية: الحجاج بن أرطأة عن أبي مضر عن ابن عبد الله عن أبيه قال التُرمذي: غريب. انتهى.

٨٠١ ـ أخرجه التّرمذي (٥/ ٢٩٤) كتاب التفسير: باب ومن سورة الرعد حديث (٣١١٧)، والنّسائي كما في الكبرى؛ كما في تحفة الأشراف (٤/ ٣٩٤)، وأحمد (١/ ٢٧٤)، وابن منده في التوحيد (١/ ١٦٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٦٥) من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبكير بن شهاب قال الحافظ: مقبول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه التّرمذي والنّسائي وأحمد من رواية بكر بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا يا أبا القاسم عن الرعد. فذكره ـ وزاد: قالوا: فما هذا الصوت قال: زجره للسحاب قالوا: صدقت»، وفي الطبراني والأوسط من رواية أبي عمران الكوفي عن ابن جريج وعن عطاء عن جابر أن خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري «سأل النبي ﷺ عن الرعد. فقال: هو ملك بيده مخراق إذ رفع برق وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت». انتهى.

---

(١) قوله: «معه مخاريق من نار» في الصحاح المخراق: منديل يلف ليضرب به (ع).

(٢) قوله: «بغدة كغدة البعير» في الصحاح: غدة البعير: طاعونه (ع).

أخبرنا عن ربنا، أمن نحاس هو أم من حديد؟ (٨٠٢) ﴿ٱلْمِحَالِ﴾: المماحلة، وهي شدّة المماكرة والمكايدة، ومنه: تمحل لكذا، إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه الحديث: «وَلاَ تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاحِلاً مُصَدَّقاً» (٨٠٣)؛ وقال الأعشى: / ١٧٨أ [من الخفيف]:

فَـرْعُ نَـبْـعٍ يَـهْـتَـزُّ فِـي غُـصُـنِ الْـمَـجْـ ـدِ غَـزِيـرُ الـنَّـدَى شَـدِيـدُ الْـمِـحَـالِ[1]

---

٨٠٢ ـ أخرجه النسائي في تفسيره (١/ ٦١١) تفسير سورة الرعد، والطبري في تفسيره (١٣/ ٨٤) والطبراني في الأوسط(٣/ ٢٨٦) رقم (٢٦٢٣)، والواحدي في الأسباب (٢٠٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، وأبو يَعلى في مسنده (٦/ ٨٩) رقم (٣٣٤٢)، ولم يسق لفظه كلهم من حديث ابن أبي سارة عن ثابت عن أنس.

وأخرجه أبو يَعلى في مسنده (٦/ ٨٧ ـ ٨٨) رقم (٣٣٤١)، والبزار في كشف الأستار رقم (٢٢٢١)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٨٣)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٩٢)؛ كلهم من طريق ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس ـ به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٢) ورواه أبو يَعلى والبزار بنحوه، إلا أنه قال: «إلى رجل من فراعنة العرب...» وبنحو هذا رواه الطبراني في الأوسط، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٣/ ٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس بن مالك ـ به.

وللحديث شاهد أخرجه الطبري(١٣/ ٨٤).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه الطبراني وابن مردويه عنه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء عنه: «أن أربد بن قيس وعامر ابن الطفيل قدما المدينة ـ فذكر الحديث مطولاً»، وأخرجه النسائي والطبري والعقيلي، وأبو يَعلى من رواية علي بن أبي سارة عن ثابت عن أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى رجل من خزاعة العرب فقال: ادعه قال: يا رسول الله، هو أخي من ذلك. قال: اذهب فادعه. فأتاه. فقال: إن رسول الله ﷺ يدعوك. قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضة، أم من نحاس ـ الحديث. وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿ويرسل الصواعق... الآية﴾، قال العقيلي: لا مانع على حديثه إلا ممن هو دونه. وقد رواه البزار والبيهقي في الدلائل من رواية ديلم بن غزوان عن ثابت نحوه. انتهى.

٨٠٣ ـ قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ والذي وجدته في الحديث المرفوع: «القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق»، روي من حديث جابر وأنس، وعن معقل بن يسار ومن حديث ابن مسعود.

فحديث جابر: أخرجه ابن حِبان (١/ ٣٣١) حديث رقم (١٢٤)، والبزار (١/ ٧٨) رقم (١٢٢).

وحديث معقل بن يسار ذكره الهيثمي (١/ ١٧٤)، وحديث ابن مسعود: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨)، الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٤١) رقم (٨٦٥٥)، عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٢) رقم (٦٠١٠)، والبزار كما في كشف الأستار (١/ ٧٧) رقم (١٢١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: قلت: الذي من الحديث والقرآن شافع وما حل مصدق. أخرجه ابن حِبان من رواية أبي سفيان عن جابر والحاكم من حديث معقل بن يسار، والطبراني من حديث ابن مسعود عن أنس. أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن. انتهى.

---

(١) فرع كل شيء أعلاه. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. والهش من كل شيء: ما فيه رخاوة وليونة. =

والمعنى: أنه شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون، وقرأ الأعرج بفتح الميم، على أنه مفعل، من حال يحول محالاً إذا احتال، ومنه: أحول من ذئب، أي: أشدّ حيلة، ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقار[1]، ويكون مثلاً في القوة والقدرة كما جاء: فساعد الله أشدّ، وموساه أحدّ؛ لأن الحيوان إذا اشتدّ محاله، كان منعوتاً بشدّة القوّة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره؛ ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواقر؟ وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه[2].

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق[3] الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق؛ للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به، وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى: أن الله ـ سبحانه ـ يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له، فكانت دعوة ملابسة للحق؛ لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء؛ لما في

= وهش إليه، من باب تعب وضرب: ضحك وانبسط إليه، أي هو كفرع النبع في العلو وللصلابة في الحروب. وشبه المجد بشجرة طيبة على طريق المكنية، فإضافة الغصن إليه تخييل لذلك. ويحتمل أنه شبه قومه بأغصان الشجرة المثمرة على طريق التصريحية، وإضافتها للمجد قرينة على ذلك. وفيها دلالة على أن المجد منهم كالثمر من الأغصان، غزير الندى كثير العطاء شديد المحال، أي المماحلة والمكايدة، وهو كالتفسير للتشبيه الأول، وغزير الندى كالتفسير للثاني، وهو من بديع الكلام.

ينظر: البيت في ديوانه (١٤١)، ومجاز القرآن ١/ ٣٢٥، واللسان (محل)، والطبري ١٦/ ٤٩٥ والقرطبي ٩/ ١٩٧، وروح المعاني ١٣/ ١٢٣، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٢٢٢، والتهذيب ٥/ ٩٢، والدر المصون ٤/ ٣٣٤.

(١) قوله: «ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار» في الصحاح: والمحالة أيضاً: الفقارة، وفيه «الفقارة» واحدة فقار الظهر (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا الوجه الثاني لا يظهر، لأن مآله إلى تقدير: لله دعوة الله، كما تقول: «لزيد دعوة زيد». وهذا التركيب لا يصح. قال السمين: وأين هذا مما قاله الزمخشري حتى يرد عليه به؟. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «فيه وجهان: أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق... إلخ» قال أحمد: دس تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال. فحجر واسعاً من لطف الله واستجابته أدعية عباده، وحتم رعاية المصالح، وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التباسها بالمصلحة، وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلل أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور، وغرضنا إيقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها إلى بدعة وضلالة، والله الموفق.

دعوته من الجدوى والنفع، بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه.

والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله ـ عز وعلا ـ على معنى: دعوة المدعوّ الحق الذي يسمع فيجيب، وعن الحسن: الحق هو الله، وكلّ دعاء إليه دعوة الحق.

فإن قلت: ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله[1]؟

قلت: أما على قصة أربد فظاهر؛ لأن إصابته بالصاعقة محال من الله، ومكرٌ به من حيث لم يشعر، وقد دعا رسول الله ﷺ على صاحبه بقوله: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ» فَأُجِيبَ فِيهِمَا (٨٠٤)، فكانت الدعوة دعوة حق، وأما على الأوّل: فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم، وإجابة دعوة رسول الله ﷺ أن دعا عليهم فيهم، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوهم الكفار، ﴿مِن﴾: دون الله، ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾: من طلباتهم، ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه؛ وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم، وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه.

وقرئ: «تدعون»: بالتاء، كباسط كفيه، بالتنوين، ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: إلا في ضياع لا منفعة فيه؛ لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ﴾ أي: ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله، شاؤوا أو أبوا، لا يقدرون أن يمتنعوا عليه، وتنقاد له، ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾: أيضاً؛ حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص، والفيء والزوال، وقرئ: «بالغدو والإيصال»: من آصلوا: إذا دخلوا في الأصيل.

---

٨٠٤ ـ قال الزيلعي: ذكره الواحدي في أسباب النزول حديث أربد وعامر عن ابن عباس من غير سند.
وينظر «تخريج الكشاف» (٢/١٨٨ ـ ١٨٩).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
ذكره الواحدي في الأسباب عن ابن عباس في القصة المذكورة. ولم أره فيها من الطريقتين المتقدمتين عن رواية الكلبي وغيره. انتهى.

---

(١) قوله: «اتصال هذين الوصفين بما قبله» عبارة النسفي: واتصال ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ و﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ بما قبله (ع).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۚ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: حكاية لاعترافهم، وتأكيد له عليهم، لأنه إذا قال لهم: من رب السموات والأرض، لم يكن لهم بدّ من أن يقولوا: الله؛ كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧]، وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك، فإذا قال: هذا قولي، قال: هذا قولك، فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه، ثم يقول له: فيلزمك على هذا القول كيت وكيت، ويجوز أن يكون تلقيناً، أي: إن كعوا عن الجواب[1] فلقنهم؛ فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه، ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء، فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم، وإقراركم سبب الإشراك، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً، فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب؟ فما أبين ضلالتكم! ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾: بل اجعلوا، ومعنى الهمزة: الإنكار[2]، و﴿خَلَقُوا﴾: صفة لشركاء، يعني: أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله، ﴿فَتَشَٰبَهَ﴾: عليهم خلق الله وخلقهم، حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه، فاستحقوا العبادة، فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد، إذ لا فرق بين خالق وخالق؛ ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾:

---

(١) قوله: «أي: إن كعوا عن الجواب» أي امتنعوا جبناً أو احتبسوا. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الإنكار... إلخ» قال أحمد: وفي قوله تعالى ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ في سياق الإنكار تهكم بهم؛ لأن غير الله لا يخلق خلقاً ألبتة، لا بطريق المشابهة والمساواة لله ـ تقدس عن التشبيه ـ ولا بطريق الانحطاط والقصور، فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أن الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقاً، ولكن جاء في قوله تعالى (كخلقه) تهكم يزيد الإنكار تأكيداً. والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستتر عنه؛ لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه، ولكن لا يخلقون كخلق الله؛ لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير. وفي قوله عز من قائل ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إلقام لأفواه المشركين الأولين، ثم لأفواه التابعة لهم في هذه الضلالة كالقدرية، فإن الله تعالى بت هذه ألبتة أن كل شيء يصدق عليه أنه مخلوق جوهراً كان أو عرضاً، فعلاً لعبيده أو غيره، فالله خالقه، فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك إلا عند كل أثيم أفاك، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم، فلأمر ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه، والله الموفق.

لا خالق غير الله، ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق، فلا يكون له شريك في العبادة، ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾: المتوحد بالربوبية، ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: لا يغالب، وما عداه مربوب ومقهور.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس، فيحيون به، وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به[1] في صوغ الحليّ منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأن ذلك/ ١٧٨ب ماكث في الأرض، باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه، وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب، والثمار التي تنبت به مما يدّخر ويكنز، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب.

فإن قلت: لم نكرت الأودية؟

قلت: لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾؟

قلت: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضارّ؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الرعد: ١٧]؛ لأنه ضرب المطر مثلاً للحق، فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع، خالياً من المضرة، ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف[2].

فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾: قلت: الفائدة فيه كالفائدة بقوله (بقدرها)، لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ لأن المعنى: وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الإنتفاع مما يوقد عليه ويذاب، وهو الحلية والمتاع، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾: عبارة جامعة لأنواع الفلز، مع

---

(١) قوله: «وبالفلز الذي ينتفعون به»، في الصحاح «الفلز» بالكسر وتشديد الزاي: ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض اهـ فليحرر، ولعله ما يبقيه الكير... إلخ (ع).

(٢) قوله: «السيول الجواحف» في الصحاح «سيل جحاف» بالضم: إذا جرف كل شيء وذهب به (ع).

إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به، كما هو هجيري الملوك؛ نحو ما جاء في ذكر الآجر: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨]، و«من» لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء، أو للتبعيض بمعنى: وبعضه زبداً رابياً منفخاً مرتفعاً على وجه السيل، أي: يرمى به، وجفأت القدر بزبدها، وأجفأ السيل وأجفل، وفي قراءة رؤبة بن العجاج: «جفالاً»، وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة؛ لأنه كان يأكل الفأر، وقرئ: «يوقدون»: بالياء، أي: يوقد الناس.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ﴾: اللام متعلقة بيضرب، أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلاً الفريقين، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم﴾: كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، وما بعده كلام مستأنف، والحسنى: مبتدأ، خبره: (للذين استجابوا)، والمعنى: لهم المثوبة الحسنى، وهي الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾: مبتدأ خبره: «لو» مع ما في حيزه و﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: المناقشة فيه، وعن النخعي: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾؛ لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أنّ حال من علم، ﴿إنما أنزل إليك من ربك الحق﴾: فاستجاب؛ بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب، كبعد ما بين الزبد والماء، والخبث والإبريز، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: الذين عملوا على قضيات عقولهم؛ فنظروا واستبصروا.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: مبتدأ، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: خبره؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ . . . أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥]، ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب، والأوّل أوجه، وعهد الله: ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الرعد: ٢٠]. ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد، تعميم بعد تخصيص، ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: من الأرحام والقرابات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة، وعن الفضيل بن عياض أنّ جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان، قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أنّ العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخشون وعيده كله، ﴿وَيَخَافُونَ﴾: خصوصاً ﴿سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ﴿صَبَرُواْ﴾: مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ﴾: الله؛ لا ليقال: ما أصبره وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل، ولا لئلا يعاب بالجزع، ولئلا يشمت به الأعداء؛ كقوله [من الطويل]:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ..... (١)

ولا لأنه لا طائل تحت الهلع، ولا مرد فيه للفائت؛ كقوله [من مجزوء الكامل]:

---

(١) وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
لأبي ذؤيب خويلد بن خالد المخزومي، يرثي بنيه. روي أن معاوية مرض، فعاده الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: كحلوني وألبسوني عمامتي، وأظهر القوة وأنشد له البيت الثاني، فأجابه الحسن بغتة بالأول. وشبه المنية بالسبع على طريق المكنية. وإنشاب الأظفار: تخييل. ومني له: قدر له. والمنية: الموت لأنه مقدر. والإنشاب: الغرز والتعليق. ألفيت: أي وجدت كل تميمة لا تنفع، وهي ما يعلق على الولدان خوف الجن والحسد. وتجلدي: أي تصبري وتصلبي. مبتدأ. وأريهم: خبره، أي أظهر لهم به أني لا أتضعضع وأتخشع وأضعف لأجل ريب الدهر، أي حدثانه الطارئ من حيث لا أشعر.
ينظر: شرح أشعار الهذليين (ص ١٠)، لسان العرب (ضعع)، مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٥)، كتاب العين (١/ ٧٢)، مجمل اللغة (٣/ ٢٧٦)، تاج العروس (ضعع).

مَـا إِنْ جَـزِعْـتُ وَلاَ هَـلَـعْـ ـتُ وَلاَ يَـرُدُّ بُـكَـآيَ زَنْـدَا[1]

وكل عمل له وجوه يعمل عليها، فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسناً عند الله، وإلا لم يستحق به ثواباً، وكان فعلاً كلا فعل، ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾/ ١٧٩أ: من الحلال؛ لأنّ الحرام لا يكون رزقاً[2]، ولا يسند إلى الله[3]، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: يتناول النوافل؛ لأنها في السر أفضل، والفرائض؛ لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: ويدفعونها، عن ابن عباس: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم، وعن الحسن: إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا، وعن ابن كيسان: إذا أذنبوا تابوا، وقيل: إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره، ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: عاقبة الدنيا، وهي:

---

(١) لـيـس الـجـمـال بـمـئـزر ... فـاعـلـم وإن رديـت بـردا
إن الـجـمـال مـعـادن ... ومـنـاقـب أورثـن مـجـدا
أعـددن لـلـحـدثـان سـا ... بـقـة وعـداء عـلـنـدى
نـهـداً وذا شـطـب يـقـد ... الـبـيـض والأبـدان قـدا
كـم مـن أخ لـي صـالـح ... بـوأتـه بـيـدي لـحـدا
مـا إن هـلـعـت ولا جـز ... عـت ولا يـرد بـكـاي زنـدا

لعمرو بن معد يكرب. يقول: ليس الجمال بفاخر الثياب. وفاعلم: اعتراض. والخطاب لغير معين، أي ليس كذلك وإن ألبستها والبرد، ثوب سابغ يرتدي به إن الجمال خصال حميدة أكسبت أصحابها الشرف. والحدثان: مكروه الدهر المنقلب. والسابغة الدرع، وكانت له درع من ذهب. والعداء: الفرس الكثير العدو. والعلندى ـ بالفتح ـ: الغليظ الشديد السريع. وشيء علند: صلب ـ واعلندى البعير: اشتد. والنهد: الضخم الطويل. والشطب ـ بالضم ـ: طرائق السيف. والأبدان: الدروع القصيرة، وإذا قطع البيضة والبدن مع أنهما من الحديد، قطع غيرهما بالأولى: مدح نفسه بالشجاعة، ثم بالصبر فقال: كثير من إخواني أنزلتهم اللحود بيدي، ومع ذلك ما جزعت لا قليلاً ولا كثيراً فإن زائدة. والهلع: شدة الجزع. وفي الحديث «من شر ما أوتي العبد: شح هالع، وجبن خالع» أي يهلع فيه وكأنه يخلع فؤاده. وتزند فلان. ضاق بالجواب وغضب. والمزند: مثل في الشيء. ويقال للحقير: زندان في مرقعة، فالزند: الشيء الحقير. ويروى: زبداً، بالباء، على أنه زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه، كان صديقاً له في الجاهلية. ويروى: وهل يرد بكائي؟ أي: لم أجزع، لعلمي أنه لا ينفع.

ينظر: ديوانه (ص ٨٢)، حماسة البحتري ص (١٢٨)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٧٩).

(٢) قوله: «لأن الحرام لا يكون رزقاً» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فيكون رزقاً كالحلال (ع).

(٣) قال محمود: «المراد مما رزقناهم من الحلال، لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى الله تعالى» قال أحمد: الحق أن لا رازق إلا الله ﴿إن الله هو الرازق ذو القوة المتين﴾ كما أنه لا خالق إلا الله ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فإذا اقتضى العقل والسمع جميعاً أن لا رازق إلا الله فأي مقال بعد ذلك يبقى للقدري الزاعم أن أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لأن الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون.

الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها[1]، و﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾: بدل من عقبى الدار، وقرئ: «فَنَعم»: بفتح النون، والأصل: نعم، فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها، ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل، وقرئ: (يدخلونها): على البناء للمفعول، وقرأ ابن أبي عبلة (صلح): بضم اللام، والفتح أفصح، أعلم أنّ الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة، وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم؛ فكأنه قيل: من آبائهم وأمهاتهم، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: في موضع الحال؛ لأنّ المعنى: قائلين سلام عليكم، أو مسلمين.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، يعنون: هذا الثواب بسبب صبركم، أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر، ومتاعبه هذه الملاذ والنعم، والمعنى: لئن تعبتم في الدنيا لقد أسترحتم الساعة؛ كقوله [من الطويل]:

. . . . . بِمَا قَدْ أَرَىٰ فِيهَا أَوَانِسَ بُدَّنَا[2]

وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»[3] (٨٠٥) ويجوز أن يتعلق بسلام، أي: نسلم عليكم

---

٨٠٥ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٣٧٧) رقم (٢٠٣٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) رقم (٦٧١٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: =

---

(١) قال محمود: «المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها. . . إلخ» قال أحمد: قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل ﴿وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار﴾، ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ والمراد في جميع ذلك: عقبى الخير والسعادة، والزمخشري يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هي التي أرادها الله فهي الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبر عنها إلا بتقييد يفهمها كقوله ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ كل ذلك من الزمخشري تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما أنطق الله به ألسنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس في مجيء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الأصل باعتبار الإرادة، ففعله الأصل باعتبار الأمر، ونحن نقول: إن المؤدي إلى حمد العاقبة مأمور به، والمؤدي إلى سوئها منهي عنه، فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الأصل، والله الموفق.

(٢) أرى الوحش ترعى اليوم في ساحة الحمى بسما قد أرى فيها أوانس بدنا

يقول: أرى الوحش ترعى في ساحة الحمى في هذا الزمان، بدل ما كنت أرى فيها الأحبة، فقد أرى: حكاية حال ماضية، وقد لتقريبها. والأوانس: جمع آنسة. والبدن: جمع بادنة، أي سمينة البدن.

ونكرمكم بصبركم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول، ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبى الدار، ويجوز أن يراد بالدار: جهنم، وبسوئها: عذابها.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: الله وحده هو يبسط الرزق، ويقدره دون غيره، وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم، ﴿وَفَرِحُوا۟﴾: بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

فإن قلت: كيف طابق قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؟

قلت: هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم؛ وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله ﷺ لم يؤتها نبيّ قبله، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية، فإذا جحدوها ولم يعتدّوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط، كان موضعاً للتعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم، وما أشد تصميمكم على كفركم: إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم، وشدّة الشكيمة في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم، وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ﴾: كان على خلاف صفتكم،

= أخرجه عبد الرزاق والطبري من رواية سهل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان النبي ﷺ فذكره، وزاد كان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك. انتهى.

﴿أَنَابَ﴾: أقبل إلى الحق، وحقيقته دخل في نوبة الخير، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بدل من (من أناب)، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته؛ كقوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن؛ لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: مبتدأ، و﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: خبره، ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب، على تقدير حذف المضاف، أي: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا، وطوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى، ومعنى: «طوبى لك»: أصبت خيراً وطيباً، ومحلها النصب أو الرفع؛ كقولك: طيباً لك، وطيب لك، وسلاماً لك، وسلام لك، والقراءة في قوله: (وحسن مآب): بالرفع والنصب، تدلك على محليها، واللام في (لهم): للبيان مثلها في سقيا لك، والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها، كموقن وموسر، وقرأ مكوزة الأعرابي: «طيبي لهم»: فكسر الطاء لتسلم الياء، كما قيل: بيض ومعيشة.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: مثل ذلك الإرسال أرسلناك، يعني: أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات، ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي: أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة، فهي آخر الأمم، وأنت خاتم الأنبياء، ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾: وحال هؤلاء أنهم يكفرون، ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، وما بهم من نعمة فمنه، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم، وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾: الواحد المتعالي عن الشركاء، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في نصرتي عليكم، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾: جوابه محذوف/ ١٧٩ب؛ كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك، وتترك الجواب، والمعنى: ولو أن قرآناً ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: عن مقارّها، وزعزعت عن مضاجعها، ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: حتى تتصدع وتتزايل قطعاً، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فتسمع

وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف؛ كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، هذا يعضد ما فسرت به قوله: ﴿لنتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ [الحشر: ٢١]، من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من القرآن، وقيل: معناه: ولو أن قرآناً وقع به، تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، وتنبيههم، لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، الآية، وقيل: إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله ﷺ: «سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع، كما سخرت لداود ـ عليه السلام ـ إن كنت نبيًّا كما تزعم، فلست بأهون على الله من داود، وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا، فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان ـ عليه السلام ـ أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا: منهم قصي بن كلاب[1]؛ فنزلت (٨٠٦)، ومعنى تقطيع الأرض على هذا: قطعها بالسير ومجاوزتها، وعن الفراء: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: وما بينهما اعتراض، وليس ببعيد من السداد، وقيل: ﴿قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: على معنيين.

أحدهما: بل لله القدرة على كل شيء، وهو قادر على الآيات التي اقترحوها؛ إلا أنّ علمه بأنّ إظهارها مفسدة يصرفه.

---

٨٠٦ ـ قال الزيلعي غريب بهذا اللفظ. تخريج الكشاف (٢/ ١٩٠).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده بهذا السياق، وقد روى ابن ربيعة عن أبي أسامة عن مجالد عن الشعبي قال: قالت قريش للنبي ﷺ: «إن كنت نبيا كما تزعم فباعد بين جبلي مكة ـ أحسبها هذين مسيرة أربعة أيام أو خمسة حتى نزرع فيها ونرعى، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا ويخبرون أنك نبي»، أو احملنا إلى الشام، أو إلى اليمن، أو إلى الحيرة، حتى نذهب ونجيء في ليلة كما زعمت أنك فعلت. فأنزل الله تعالى: ﴿ولو أن قرآناً ـ الآية﴾، وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطية بن أبي سعيد قال: قالوا لمحمد ﷺ «لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه الريح»، وروى أبو يَعلى من حديث الزبير بن العوام يقول: «لما نزلت: «وأنذر عشيرتك الأقربين» صاح رسول الله ﷺ: يا آل قريش، فجاءته قريش. فحذرهم وأنذرهم فقالوا: تزعم أنك نبي، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى. فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال وتنفجر لنا الأرض أنهاراً، فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، أوادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا أوادع الله أن يُصير هذه الصخرة التي بجنبك ذهباً فننحت منها ويغنينا، قال: فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي. فلما سرى عنه قال: والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت كان، ولكن أخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم بعذبكم. فنزلت». انتهى.

والثاني: بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان، وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بني أمر التكليف على الاختيار؛ ويعضده قوله: ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ٣١]، يعني: مشيئة الإلجاء والقسر[1]، ﴿لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، ومعنى: (أفلم ييئس): أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى: العلم، لتضمنه معناه؛ لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى: الخوف، والنسيان في معنى: الترك لتضمن ذلك؛ قال سُحَيْم بن وُثَيْلٍ الرِّيَاحِيُّ [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي: أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[2]

ويدل عليه أن عليًا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: «أفلم يتبين»، وهو تفسير: (أفلم ييئس)، وقيل: إنما كتبه الكاتب، وهو ناعس مستوى السيئات؛ وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية، ويجوز أن يتعلق (أن لو يشاء) بآمنوا، على: أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم، ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: من كفرهم وسوء أعمالهم، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا، والمصائب في نفوسهم، وأولادهم وأموالهم، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: القارعة، ﴿قَرِيبًا﴾: منهم فيفزعون، ويضطربون، ويتطاير إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: وهو موتهم، أو القيامة، وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله ﷺ من العداوة والتكذيب قارعة؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان لا يزال يبعث السرايا، فتغير حول مكة وتختطف منهم، وتصيب من مواشيهم (٨٠٧)، أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم

---

٨٠٧ ـ قال ابن حجر: هو موجود في المغازي لابن إسحاق، والوادي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا منها سرية زيد بن حارثة ليلقى عير قريش وغيرها. وينظر «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٥).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

قلت: موجود في المغازي لابن إسحاق، والواقدي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا؛ منها سرية زيد بن حارثة ليلقي عير قريش وسرية على الحر بن سعد بن بكر وغيرهما. انتهى.

---

(١) قوله: «أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء» هذا عند المعتزلة دون أهل السنة (ع).

(٢) تقدم.

بجيشك، كما حل بالحديبية، حتى يأتي وعد الله، وهو فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

الإملاء: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن، كالبهيمة يملى لها في المرعى، وهذا وعيد لهم، وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ استهزاء به وتسلية له.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، يعني: أفا الله الذي هو قائم رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ﴾: صالحة أو طالحة، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: يعلم خيره وشره، ويعدّ لكل جزاءه، كمن ليس كذلك، ويجوز أن يقدّر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه وجعاراً، وتمثيله: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه، ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: له، وهو الله الذي يستحق العبادة وحده، ﴿شُرَكَآءَ ۚ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم، ثم قال: ﴿أم تنبئونه﴾: على أم المنقطعة؛ كقولك للرجل: قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف، ومعناه: بل أتنبؤونه بشركاء[1]، لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم، والمراد نفي أن يكون له شركاء، ونحوه: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾ ﴿أم بظاهر من القول﴾/ ١٨٠أ: بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: ٩]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة[2] التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق

---

(١) قال محمود: «معناه بل أتنبئونه بشركاء... إلخ» قال أحمد: وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء، وأن الله لا يعلمهم كذلك، لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله، إلا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة، ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع، لا تكنه بلاغته وبراعته، ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان: وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء، فلم يكن بهذا الموقع الذي اقتضته التلاوة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها... إلخ» قال أحمد: هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلاً، لأنه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها، وما أسرع المطالع لهذا =

ذلق: أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقرئ: (أتنبئونه): بالتخفيف، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: كيدهم للإسلام بشركهم، ﴿وَصُدُّوا﴾: قرئ بالحركات الثلاث، وقرأ ابن أبي إسحاق: «وصدّ»: بالتنوين، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: فما له من أحد يقدر على هدايته، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن، ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر؛ ولذلك سماه عذاباً، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: وما لهم من حافظ من عذابه، أو مالهم من جهته واق من رحمته.

﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾: صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء، والخبر محذوف على مذهب سيبويه، أي: فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، وقال غيره: الخبر: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، كما تقول: صفة زيد أسمر، وقال الزجاج: معناه: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد، وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «أمثال الجنة»: على الجمع، أي: صفاتها، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾؛ كقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿وَظِلُّهَا﴾: دائم لا ينسخ، كما ينسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يريد من أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، واثنان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانية من أهل اليمن، هؤلاء: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾، يعني: ومن أحزابهم، وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة، نحو: كعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص، وبعض الأحكام والمعاني هو ثابت في كتبهم غير محرف، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام، ونعت رسول الله ﷺ وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع.

= الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته، لولا هذا التنبيه والإيقاظ، والله أعلم.

فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ بما قبله؟

قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وألاّ يشرك به، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقرأ نافع في رواية أبي خليد: «ولا أشركُ»: بالرفع على الاستئناف كأنه قال: وأنا أشرك به، ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى: أمرت أن أعبد الله غير مشرك به، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾: خصوصاً لا أدعو إلى غيره، ﴿وَإِلَيْهِ﴾: لا إلى غيره مرجعي، وأنتم تقولون مثل ذلك، فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾: ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه، بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه، والإنذار بدار الجزاء، ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب، وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يوافقهم عليها منها: أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوّله الله عنها، فقيل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة، خذلك الله فلا ينصرك ناصر، وأهلكك فلا يقيك منه واق، وهذا من باب الإلهاب والتهييج، والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه، وألاّ يزلّ زالّ عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة، وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدّة الشكيمة بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

كانوا يعيبونه بالزواج والولاد، كما كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، وكانوا يقترحون عليه الآيات، وينكرون النسخ، فقيل: كان الرسل قبله بشراً مثله ذوي أزواج وذرية، وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، ولا يأتون بما يقترح عليهم، والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات؛ فلكل وقت حكم يكتب على العباد، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم، ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: ينسخ ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل، ﴿وَيُثْبِتُ﴾: غيره، وقيل: يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة، ويثبت إيمانهم وطاعتهم، وقيل: يمحو بعض

الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي، وسائر الحيوان والنبات، والأشجار وصفاتها وأحوالها، والكلام في نحو هذا واسع المجال، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ؛ لأنّ كل كائن مكتوب فيه، وقرئ: «ويثبت».

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم، وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: أرض الكفر، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾: بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام؛ وذلك من آيات النصرة والغلبة، ونحوه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]، والمعنى: عليك بالبلاغ الذي/ ١٨٠ب حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك، فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضجرك تأخره؛ فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر، وقرئ: «ننقصها»؛ بالتشديد، ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾: لا رادّ لحكمه، والمعقب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وحقيقته: الذي يعقبه، أي: يقفيه بالردّ والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقّب؛ لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب؛ قال لبيد [من الطويل]:

. . . . . طَلَبُ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ[1]

---

(١) حتى تهجر في الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

للبيد بن ربيعة، يصف حمار وحش خرج في الهاجرة وراء أتانه، وهاجها: أي بعثها على السير ونشطها لسرعة سيره في طلبها، كما يطلب المعقب المظلوم حقه ودينه ممن هو عليه، فالمظلوم بالرفع صفة للمعقب، لأنه فاعل في المعنى. ومعناه الذي رجع إلى حقه الذي كان أعطاه للمدين، فكأنه رجع على عقبه، أو لأنه يعقب المدين ويتبعه.

ينظر: ديوانه (١٥٥)، الإنصاف ١/ ٢٣٢، معاني الفراء ٢/ ٦٦، وابن الشجري ١/ ٢٢٨، أوضح المسالك ١/ ٢٢٠، البحر المحيط ٥/ ٣٩٠، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٤٦، الهمع ٢/ ١٤٥، الدرر ١/ ١٤١، التصريح ١/ ٢٧٨، الأشموني ٢/ ٤٧.

والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، ﴿إِنَّ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

فإن قلت: ما محل قوله: «لا معقب لحكمه»؟

قلت: هو جملة محلها النصب على الحال، كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه؛ كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة، تريد حاسراً.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وصفهم بالمكر، ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره، فقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار﴾؛ لأنّ من علم ما تكسب كل نفس، وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كله؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون، وهم في غفلة مما يراد بهم، وقرئ: «الكفار»، و«الكافرون»، «والذين كفروا»، و«الكفر»: أي أهله، والمراد بالكافر الجنس: وقرأ جناح ابن حبيش: «وسيعلم الكافر»، من أعلمه، أي: سيخبره.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: لما أظهر من الأدلة على رسالتي، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: والذي عنده علم القرآن[1]، وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب[2] الذين أسلموا؛ لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، وقيل: هو الله ـ عز وعلا[3] ـ والكتاب: اللوح المحفوظ، وعن الحسن: لا والله، ما يعني إلا

= لسان العرب ١/ ٦١٤، خزانة الأدب ٢/ ٢٤٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٣٣، المقاصد النحوية ٣/ ٥١٢، الدر المصون ٤/ ٢٤٧.

(١) قال محمود: «المراد والذي عنده علم القرآن... إلخ» قال أحمد: فيكون المراد حينئذ: جنس المؤمنين.

(٢) قال محمود: «وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، قال أحمد: فالكتاب على التأويل الأول مراد به القرآن خاصة، وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه.

(٣) قال محمود: «وقيل هو الله عز وجل، والكتاب، اللوح المحفوظ. وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو، شهيداً بيني وبينكم. وتعضده قراءة من قرأ ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على من الجارة» قال أحمد: وإنما =

الله، والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو، شهيداً بيني وبينكم؛ وتعضده قراءة من قرأ: «ومن عنده علم الكتاب»، على من الجارّة، أي: ومن لدنه علم الكتاب؛ لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقرئ: «ومِنْ عنده علم الكتاب»: على من الجارّة، «وعلم»؛ على البناء للمفعول، وقرئ: «وبمن عنده علم الكتاب».

فإن قلت: بم ارتفع علم الكتاب؟

قلت: في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدّر في الظرف، فيكون فاعلاً؛ لأنّ الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول، فعمل عمل الفعل؛ كقولك: مررت بالذي في الدار أخوه، فأخوه فاعل؛ كما تقول: بالذي استقرّ في الدار أخوه، وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّعْدِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِوَزْنِ كُلِّ سَحَابٍ مَضَىٰ وَكُلِّ سَحَابٍ يَكُونُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَبُعِثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الْمُوَفِّينَ بِعَهْدِ اللهِ» (٨٠٨).

---

٨٠٨ ـ عزاه الزيلعي للثعالبي عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وعزاه لابن مردويه في تفسيره، كما تقدم إسناده في آل عمران، والواحدي في تفسيره الوسيط، وينظر حديث (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

تقدم إسناده في آل عمران. انتهى.

= قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذي يستحق العبادة، حذراً من عطف الصفة على الموصوف، وعدولاً إلى أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى تقديراً وإنما أخذ الحصر حيث يقول: ومن لا يعلم علم الكتاب إلا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه، وشأن الزمخشري أخذ الحصر من التقديم، والله الموفق للصواب.